

## مراجعات الكتب

• الرسالة العنقية

• الرمال المتحركة

• فيصل الملك والمملكة

• الدولة السعودية

# الرسالة

الرسالة العرشية .. هكذا درجنا نسميها بهذا الاسم كلما جرى ذكر لها ، وما أكثر ما ذكرناها .. اعجابا بها واذاعة لها ، واستدلالا بما فيها .

وقد يسأل قاريء لماذا احتفل بنشرها في مجلة الدارة بينما هي مطبوعة ، ثم لعله يزيد السؤال عن علاقتي بها ، وحماستي لها ..

سؤال قائم لأبد من الاجابة عليه يتم توضيحه لهذا السائل على الصورة الآتية :

أولا : ان علاقتي بشيخ الاسلام ناصر السنة معتمدنا في عقيدة السلف جاءت مصادفة، كنت وأنا تلميذ بالمدرسة الراقية ، وفي أواخر عهد الاشراف .. نتلقى دروسا خاصة في الحساب والجبر .. ليلا - تارة على فانوس ، وفي بعض الليالي على ضوء القمر - يدرسنا استاذنا السيد حسين طه ومعني المحدثون الثلاثة - تكملة المحدثين الاربعة - زملائي محمد سالم العجيلي، محمد اياص توفيق - يرحمه الله ، محمد نيازي ، محمد حسين زيدان ، حتى اذا وصلنا الى دراسة اللوغاريتمات .. جاءنا الصديق الزميل محمد نيازي بمجموعة مجلدات كانها كتاب واحد فيها جداول اللوغاريتمات وحساب المثلثات باللغة التركية - تأليف محمود شوكت باشا



• محمد حسين زيدان

## العتبية

بطل الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد والاخ الاكبر  
لحكمت سليمان رئيس الوزراء العراقي والقائم بمساعدة انقلاب  
بكر صدقي ..

لم تكن لدينا الا هذه النسخة يعجزها الاخ محمد نيازي  
لديه ، ويعجزنا أن نجدول منها هذه الجداول .. فذهبت الى سوق  
الحراج عند باعة الكتب القديمة اسأل عن هذه الجداول ، وفي  
حسابي الا أجدها بالعربية ، وانما المراد أن أجد نسخة ثانية من  
هذه النسخة بالتركية ، وبينما أخذت اقلب في الكتب وجدت  
رسالة من تأليف شيخ الاسلام - هي رسالته في الرد على النصرانية -  
كشاب لا يهمنه أن يعرف شيئاً عن مؤلفها - وانما همه وهو طالب  
مسجدي أن يأخذ هذا الكتاب •

أخذته وبدأت أقرأه .. فحبب الى ذلك شيخ الاسلام ابن  
تيمية ، وعندى ركائز من السلفية وكراهية ما يشوب هذه  
العقيدة - ركزها في نفسي أستاذي البار بي السيد محمد صقر ،  
تلميذ الشيخ العزيز ابن الوزير أستاذه او أستاذ عبد الحميد بن  
باديس وأستاذ محمد البشير الابراهيمي والطيب العقبي .. ومن  
اليهم من هؤلاء الذين أصبحوا أعلاما في ترسيخ الجهاد وعقيدة  
السلف •

من يومها بدأت أقرأ للشيخ .

ثانيا : وفي عصر يوم من عام ١٢٤٧ هـ وأنا جالس في المسجد النبوي إذاكر درسا في النحو في قطر الندى واستعد الى الدرس في الفقه على يد أستاذي السيد محمد صقر في حلقة في المسجد النبوي .

وقف على رأسي الصديق الشيخ محمود شويل ، وكان في عنفوانه - حماسة لعقيدة السلف - سلم علي وقال : لقد وصلت الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية واحب أن نقرأها سويا فشكرته على هذا البر ، وأخذت الامر على انه يريد أن يرسخ في نفسي عقيدة السلف ، وأكبرت أن يكون قد أغلق عليه شيء من هذه المصطلحات الفلكية ، وبدانا نقرأ كل ليلة حتى أتممناها في عدة ليال بعد صلاة العشاء في المسجد النبوي ، فوقفت عند شرحه لاستدارة الافلاك ، ومسيرة الشمس حتى وصلنا الى تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ( كل في فلك يسبحون ) قال ابن عباس في فلكة كفلكة المغزل - أي الخشبة المستديرة على المغزل فقلت للشيخ الله أكبر . . . لقد سبق ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، العالم الايطالي غاليلو - فهو يقول بقول ابن عباس ، قال جاليليو ذلك أول مرة في العلم الغربي - فانكرته عليه الكنائس - فغاليليو يقول : ان الافلاك ( اهليلجية ) - أي كل فلكة كحبة الاهليلج - أي أنها مستديرة كروية .

خفي قول ابن عباس على العالم وأشهرت العرب على جاليليو بسبب ما قاله من هذا العلم - ثم قلت للشيخ محمود - ان شيخ الاسلام قد سبق أنشتاين ، فهناك حين نقرأ شيخ الاسلام في هذه الرسالة - نجد ظلالا ومفاهيم قد سبق بها شيخ الاسلام - أنشتاين في قوله : ( هذا الكون المعذب ) .

وأتممنا الرسالة ، ولقيت بعض الاشياخ منهم من ينكر



كروية الارض عن اعتقاد لديه ، ومنهم كعالم مصري يعرف ذلك ثم يتنكر عليه - تجديفا وترضية - لأن في حساباته أن هذا التنكر يرضي بعض مشايخنا ، وكنت أقيم الحجة عليهم وعليه .. رسالة شيخ الاسلام .

ثالثا : أن طبع هذه الرسالة كانت حصافة ذكية ودفعة قوية - فعلها الملك البطل المرحوم الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - دفع بها الى السيد رشيد رضا فطبعته - فعددت الوضع واقنعت الكثيرين كأنما جلالتة يرحمه الله قد أراد أن يزيل كثيرا من العقابيل بهذه الرسالة .

رابعا : من هنا حفلت بهذه الرسالة وما كنت حريصا على نشرها بالمجلة لو أنني وجدتها في يد القاريء ، لقد تعبت في العثور عليها - ليست من مقتنيات الدار ، وقد عثرنا عليها حين جلب لنا صورة منها الاستاذ أحمد مرسى أمين المكتبة والوثائق بـدارة الملك عبد العزيز - فأخذناها وحرصت على نشرها .

خامسا : وقد زاد الامر وضوحا ما حققه تلميذ شيخ الاسلام الحفيظ على مذهبه ، الامام ابن قيم الجوزية ، حيث صرح بكروية الارض كما جاء ذكره في تعليق الاستاذ محمد خضر المنشور بعد ، كأنما هو قد فهم هذه الرسالة العرشية ، فجاء بالدليل الذي برهن به ابن حزم على كروية الارض ..

ان ابن القيم استدل بقوله تعالى : « يكور الليل على النهار » وهو دليل ابن حزم ، علي الشأن ، لم يفته العرفان ، قال ابن حزم : ولا أدري كيف يكون ظل الشيء مثله أو مثليه اذا لم تكن الارض كروية ، كأنما هو قد أدرك أن انبساط الارض يجعل الظل على حال واحد ، أو هو قد أدرك أن الانبساط لا يتناسب مع الدوران ، وانما هي الارض ككل الافلاك مستديرة ، كما هو شرح شيخ الاسلام .

سادسا : وفي حوار مع شيخي وأستاذه بقيه الناس ، يرحمه الله الشيخ محمد العلي التركي ، وقد كان ينكر كروية الارض ، قلت له حين اشتد الحوار بيني وبينه في زورته الى المدينة في آخر عهد الاشراف : اني أريد أن أسالك اذا مات اثنان متوارثان في وقت واحد ، أحدهما مات في الشرق والآخر في الغرب ، من منهما يرث الآخر ، فأجاب كفقيه ، بكل السرعة : ان الغربي يرث الشرقي ، فقلت : ألا يكون هذا دليلا قاطعا على كروية الارض ، فلم يغضب الشيخ وانتهى الحوار بيننا ..

سابعا : ان هذا البحث ، لبرهان واضح على مكانة البحث والعلم عند أسلافنا ، فعلى قلة الوسائل وندرة النشر والكتابة بالقلم دون الطبع ، والبعد بين المسافات ، قد تفرغوا للدرس وشبعوا من المعرفة ، وصدعوا بما يفتقدون مما هو دليل على عبقريتهم ، وإخلاصهم ، وسعة علمهم - عالم في أقصى المشرق لا يفوته الكتاب يأتيه من أقصى المغرب ، وعالم في المغرب لا يفوته كتاب عالم من المشرق ، انها احدي الاعاجيب ، أعاجيب مسيرتنا الاسلامية انارت الطريق فلم يتعثر بأسلافنا طريق ..

ثامنا : ولاأريد أن أنسى حوارا مع الصديق الاستاذ الوزير أحمد زكي يماني في باحة وزارة المالية بمكة أيام كان موظفا بها بعد تخرجه من الجامعة .

فقد حدثني طويلا عن نية لديه يريد أن يخرج كتابا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ولعله قد أشار الى أنه يوالي دراسته لهذا الامام ، وحبيب الى نفسه أن أكون في موقف المعين له .

تاسعا : وهناك مواقف لي مع شيخ الاسلام .. فعين نشر الاستاذ طاهر الطناحي في مجلة الهلال مقالا يتهم فيه شيخ الاسلام بالتجسيد جريا



وراء ما كتبه ابن بطوطه وما تناقلته الالسنه من حملات خصومه عليه .

فكتبت ردا عليه في جريدة البلاد كان موضع الثناء من بعض السلفيين حيث أرسل الى الشيخ عبد الرحمن مظهر كتابا يشكرني فيه ويعثني على التمسك بشيخ الاسلام .

عاشرا : وأكثر من مرة كتبت هذه الفقرة ..

( اني لأعجب من سلوكنا مع شيخ الاسلام ابن تيمية .. نتخذه اماما معتمدا في العقيدة ونتركه اماما .. فلا نأخذه عن اجتهاده وتخريجاته الصحيحة .. لايفوتها الدليل الحق في الفقه بينما قد أخذ بها الذين لايعتمدون هذا الامام حجة في العقيدة )

ومن ولعي بشيخ الاسلام .. وجددني أتابع بعض مواقفها وما أكثرها .. انها مواقف الجهاد والنصح ، ومن هذه المواقف ماشرته من قبل حتى اذا جاءت المناسبة بالنسبة لبعض الاحداث في لبنان - نشرت هذا الموقف في مجلة اليمامة العدد ٢٨٧ الصادر يوم ١٢٩٦/٢/٧ هـ وانقله نصا :

والحديث ذو شجون .. او هو الشيء بالشيء يذكر . ذلك ان الواقع في هذه الايام .. ذكرني بموقف لشيخ الاسلام ابن تيمية .. فحين بطش التتار بأرض الشام كان شيخ الاسلام بطلا على صورتين .. حمل السيف يحارب في صف المسلمين .. وحمل بلسانه يصون المسلمين من اهل الشام قاطبة من الغوف .. يشجعهم حين خاض المعركة ويثبتهم بالدعوة الى الجهاد .. حتى اذا سكنت النار تحت الرماد عرف ان لدى التتار أسرى مسلمين وذميين .. يهود ونصارى .. فذهب - يرحمه الله - بقوة الشيخ المسلم ، سار على الطريق الى سلطان التتار يطلب اطلاق الاسرى .. فقال السلطان التتري لشيخ الاسلام : لك عندي قبول الشفاعة في أسارى المسلمين ، اما غيرهم من اليهود والنصارى فلا يهمك امرهم .. لهذا لاأطلقهم ! فانتفض الشيخ بعزيمة المسلم من تشريع



دينه أن الذمي المحوط بذمة الاسلام له ما لنا وعليه ما علينا .. فقال :  
أما أن تطلق أسرانا جميعا مسلمهم وذميهم والا فليبقوا كلهم في أسرك ،  
وعرف سلطان التتار قيمة الشيخ من التمسك بقيم دينه فاطلق كل الأسرى  
مسلمهم وذميهم ! ..

هكذا الاسلام .. يعمي أهله .. ويعمي كل من دخل في ذمته ..  
وهكذا الشيخ سار على الطريق فلم ينغلق في وجهه الطريق ..  
هذه القصة قرأتها وحفظتها من كتاب اسمه « أشهر مشاهير  
الاسلام » ألفه من كان سيد دمشق من البيت العريق الاستاذ الجليل رفيق  
بك العظيم ..

وشيخ الاسلام لم يأت بدعة .. وسأضرب أمثلة لم يشذ عنها ..  
ففي الحديث الصحيح أن رسول الله المبعوث رحمة للعالمين سيدنا  
محمد عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع نخبة من أصحابه .. وكل  
أصحابه نخبة .. فمرت جنازة فقام واقفا عليه الصلاة والسلام .. حرمة  
من فضائل أخلاقه .. فقال بعض أصحابه إنها جنازة يهودي .. فقال  
عليه الصلاة والسلام ( .. أوليست نفسا ؟ ) .. ومثل آخر ..  
فحين قتل عبيد الله بن عمر ذميين هما الهرمزان المجوسي .. وجفينة  
النصراني أخذا بثار أبيه عمر لأنهما اتهما بتدبير المؤامرة على قتل  
عمر مع أبي لؤلؤة .. فافتنى الامام علي كرم الله وجهه بقتل عبيد الله  
ابن عمر قصاصا لأنه قتل ذميين .. وكاد الخليفة عثمان أن ينفذ الحكم  
لولا أن عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعا أشار على عثمان بإلا  
يدخل الحزن على آل عمر مرتين ! .. فأخذ عثمان برأي عمرو وترك فتوى  
علي .. فالحق التشريعي في جانب علي .. والرحمة المسلمة في جانب  
عثمان ..

هذه هي الأسباب وتلك هي العلاقة ..

أما ما أريده بعد ذلك فهم العلماء المختصون في علم الجغرافيا  
والفلك ، أدعواهم أن يدرسوها ليوافينا من أعجبه هذا العلم بما يتيسر  
لديه من بحث يدعم على أساس النظريات الحديثة ما أرسله شيخ  
الاسلام في هذه الرسالة ..

والله من وراء القصد .. وهو ولي التوفيق ..

محمد حسين زيدان



# الرسالة العربية

محمد خضر محمد خضر

كان من اثر ظهور انواع من المعرفة الجغرافية والفلكية في القرن الذي عاش فيه ابن تيمية ان كثيرا من الناس استند على هذه المعرفة واعتبرها القاية النهائية التي يمكن للعلم ان يصل اليها دون ان يدري ان العلم سوف يتقدم كثيرا في القرون التي تلي زمانه بحيث تصبح المعرفة السائدة في وقته بدائية وضئيلة بالنسبة لما سيأتي من اكتشافات .

ولقد حاول فريق من الناس في عصر ابن تيمية ان يوفقوا بين المعرفة الجغرافية والفلكية التي وصلت الى اسماعهم وبين آيات القرآن . وهذا الاتجاه في تفسير القرآن شائع بين الناس حتى عصرنا العاضر عندما تولى فريق من المفسرين تفسير القرآن طبقا لمعطيات العلم التي ظهرت . ولسنا هنا في معرض تفسير هذا الاتجاه وانما الذي يعيننا هو ان عالما ذكيا اوتي قدرا كبيرا من فهم روح الاسلام وتعاليمه استطاع ان يرد على الآراء القائدة الشائعة في زمانه حتى مع انه ليس متخصصا في علوم الفلك . وانما عرض ما وصل اليه من آراء على الكتاب والسنة ورد على من سألوه .

فلقد طرح عليه بعض الناس السؤال التالي :-

هل عرش الرحمن كروي الشكل شأنه في ذلك شأن سائر الافلاك والاجرام السماوية ؟

واذا كان العرش كرويا - أي أنه يحيط بالارض من جميع جهاتها . وأن الله سبحانه وتعالى من ورانه محيط فما هي الضرورة في أن يتوجه العبد الى الله بوجهه الى اعلا عند الدعاء وهو امر تدعو اليه الفطرة الانسانية ؟

ومن الواضح ان هذين السؤالين انما طرحا في ذلك العصر بعد ان تقدمت المعرفة الفلكية وصار حديث ركوبة الارض والافلاك أمرا ثابتا لدى كثير من المفسرين والعلماء كالرازي وابن حزم .

فكان رد ابن تيمية لاطعنا في هذا السبيل تنزيها لله تعالى وعرشه عما يصفون ووضح ذلك التنزيه في ثلاث مقامات :

اولا - انه ليس هناك دليل عقلي ولا علمي على أن عرش الرحمن كروي الشكل او انه هو  
الفلك التاسع

ثانيا - ان السموات والارض كلها بالنسبة لله سبحانه وتعالى من الصغر والضالة  
لا يمكن لنا أن نخضع قدرته لمعرفةنا المحدودة .

ثالثا - ان القواعد العلمية تقتضي أن يتوجه الانسان الى اعلا اذا اراد الاتجاه الى ما هو خارج  
عن الافلاك اي اذا اراد الاتجاه الى الله سبحانه وتعالى .

وقد قرر ابن تيمية ايضا قاعدة مهمة من ناحية العقيدة هي أن الانسان قد يوهم نفسه  
بصحة معتقد من المعتقدات ولا يزال يقيم عليه الدليل دون أن تكون هناك دلالات علمية حقيقية على  
صحته وانما يرجع كل ذلك الى الوهم والخطأ .

وهذه قاعدة دقيقة جدا تدل على فهم عميق للطبائع الانسانية فاننا نرى عبر التاريخ  
نماذج واضحة تثبت صحة تلك القاعدة . واقرب نموذج للموضوع الذي يتحدث فيه ابن تيمية هو  
محاكمة العالم الايطالي جاليليو الذي قال بكروية الارض فخالف بذلك معتقدات الكنيسة فكان  
نصيبه الاتهام بالهرطقة وما جرى عليه من الحكم .

#### ففي المقام الاول قال ابن تيمية :

١ - ان اهل النظر في علم الهيئة والفلسفة راوا أن الافلاك هي تسعة افلاك - وأن التاسع  
وهو الاطلس - محيط بها مستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة المشرقية غير أن كل فلك له  
حركته الذاتية داخل نطاق الحركة العامة التي يبعث عليها الفلك التاسع .

٢ - لما رأى هؤلاء أن الفلك التاسع هو الغاية النهائية في الكون - وذلك وهم منهم وظن -  
قالوا بانه ليس وراءه شيء .

ولما كان هذا الفلك هو الذي يحرك الافلاك كلها فانهم ظنوا أنه هو مبدأ الحوادث .

تلك هي الادلة التي بنى عليها اصحاب الرأي القول بأن الفلك التاسع هو العرش . وقد  
تصدى ابن تيمية لتفنيد تلك الحجج بقوله :

اولا : ان اهل الفلسفة ليس عندهم دليل يقيني بأن الافلاك هي تسعة نقط . بل يجوز أن  
تصدى ابن تيمية لتفنيد تلك الحجج بقوله :

ثانيا : ان القول بأن الفلك التاسع هو مبدأ الحوادث قول باطل . لانه اذا كان لكل فلك من  
الافلاك حركته الخاصة التي تنشأ عن مواقع الكواكب بالنسبة لبعضها البعض والحركات المختلفة  
هي سبب الاشكال العادته . فان كل حركة منها ليست ناجمة عن الحركة الاخرى .



فحركة الفلك السابع تخصه وحده والثامن كذلك . فالمنطق يقودنا الى القول بان الفلك التاسع له حركة تخصه وحده وليست هي سبب الحوادث وانما تقع جميع هذه الحركات تبعا للحركة الكلية التي لايعرفها اهل الفلسفة يقينا ومن هنا فان القول بان الفلك التاسع هو مبدا الحوادث كلها قول باطل .

ثالثا : ان الادلة النقلية تبين ان عرش الرحمن مغاير لسائر مخلوقات الله .

فقد قال الله سبحانه وتعالى :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وفهم عذاب الجحيم »

وقال الله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقال تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله » وقال تعالى : « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء »

وورد كذلك في احاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله : « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الفا سنة وكان عرشه على الماء » .

وقال تعالى : « قل لو كان معي الهة كما يقولون اذا لايتفوا الى ذى العرش سبيلا »

وقال تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق »

وقال تعالى : « وهو الغفور الودود » ذو العرش المجيد . فعال لما يريد » وقال تعالى : « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » سيقولون : لله قل افلا تتقون » .

وقال تعالى : « فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » والمستفاد من هذه الايات ما يلي :-

1 - ان للعرش حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة .

ب - ان حملته من حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين .

ج - ان عرش الرحمن كان على الماء .

د - ان عرش الرحمن مجيد ورفيع وكريم .

وبذلك ثبت لنا ان العرش مغاير لمخلوقات الله الاخرى ونحن نعرف ان قيام فلك من الافلاك بمقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق بين واحد وآخر .



وانه لو كان لوحد منها ملائكة تحمله لصار حكم سائر الافلاك ولما كان هناك مبرر لتخصيصه بالذكر . لان الله سبحانه وتعالى لم يخص سماء دون سماء . وانما لا يد وأن العرش متميز عن سائر الافلاك مغاير لها .

وقد وردت عدة احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن العرش هو القل الاوران وان له قوائم وانه اهتز لموت سعد بن معاذ

وحركة الفلك التاسع دائما متشابهة . فلو كان هو عرش الرحمن لما توافق حديث هزة العرش مع حركة الفلك وثبت كذلك بالاحاديث الصحيحة أن العرش فوق الفردوس الذي هو وسط الجنة واعلاها .

وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب . بحديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام . ان الله على عرشه وأن عرشه على سماواته وأرضه وهكذا - وقال بأصابه مثل القبة .

ومن هنا فانا نستدل على أن عرش الرحمن ليس فلكا من الافلاك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه فوق الفردوس الذي هو وسط الجنة واعلاها » .

ولأن القبة تستلزم استدارة من العلو ولا تستلزم استدارة من جميع الجهات الا بدليل منفصل في حين أن الفلك مستدير استدارة مطلقة لقوله تعالى : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون »

وقوله تعالى « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » فهذا يقتضى انها في فلك مستديرة استدارة مطلقة كما قال ابن عباس رضى الله عنه في « فلكة مثل فلكة المفزل » .

ثم اورد ابن تيمية في هذا المقام نقدا عاما لمناهج التفكير عند الفلاسفة فهم يستنبطون القواعد العلمية من طريق المشاهدة والتجربة ولكنهم لا يستطيعون ادراك الحكمة من وراء قيام الظواهر الكونية ذاتها ولا الغاية التي من اجلها خلقت .

ودلل على ذلك بمثالين اولهما أن هؤلاء يعرفون أن البخار المتصاعد ينعقد سحابا وقد وضعوا هذه القاعدة العلمية نتيجة للمشاهدة الحسية . ولكنهم لا يستطيعون تحليل السبب الذي يجعل هذا السحاب ينعقد فوق بلد معين في وقت معين لينزل مطرا ينتفع به الناس ، والثاني : أنهم يعلمون أن الانسان خلق من التقاء الحيوان المنوى مع البويضه في الرحم ولكنهم لا يعرفون السبب من خلق هذا الانسان على هذا الترتيب المحكم وبكل ما في الانسان من قدرات واجهزة دقيقة تعمل وفق قانون مطرد ثابت لا يعرف اسراره سوى البارئ سبحانه وتعالى .

وخلص ابن تيمية من ذلك كله الى أن الاستنتاج الذي ذهب اليه هؤلاء من أن الفلك التاسع هو العرش استنتاج باطل لكل العجيج التي أوردها سابقا .



## اما في المقام الثاني

فان ابن تيمية اراد أن يدل على أن العرش سواء اكان الفلك التاسع او جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة الارض محيطا به او غير ذلك . فان العالم كله السفلى منه والعلوى في غاية الصغر والضئالة بالنسبة للبارى سبحانه وتعالى .

واستدل على ذلك بعدد من الآيات والاحاديث .

فقد قال الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : انا الملك ابن الجبارون المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول : انا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون .

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمر حكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأخذ الله سماواته وارضه بيده ويقول انا الملك ويقبض اصابعه ويبسطها . انا الملك : حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى انى القول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك اورد ابن تيمية عددا اخر من الاحاديث تدل على نفسى المعنى وهو أن الاكوان كلها في غاية الصغر والضئالة بالنسبة لله سبحانه وتعالى وقدرته وعظمته .

ثم اورد بعد ذلك رد ابن الماجشون صاحب الامام مالك على الجهميه ومن قال قولهم .

وكل تلك الحجج التي اوردها ليبين أن الله سبحانه وتعالى له من القدرة والعظمة مالا يحيط به العقل البشرى .

وسواء اكان العرش محاطا بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه وغير ذلك . فان العرش يكون فوق المخلوقات والغالق سبحانه وتعالى فوقه . والعبد في توجهه الى الله يقصد العلو دون السفل .

اما في المقام الثالث فان ابن تيمية اراد أن يثبت انه مهما كان من امر العرش سواء اكان كرويا كالأفلاك محيطا بها أو كان فوقها وليس بكروي فانه يجب التوجه الى العلو عند الدعاء وذلك للأسباب الآتية :-

١ - أن الاشكال الدائرية أو الكروية اعلاها هو المحيط واسفلها هو المركز . وعلى ذلك فليس للأشكال الكروية الا جهتان فقط وهما العلو والسفل .

٢ - ان الجهات الست توجد بالنسبة للحيوان فقط. أما الافلاك فليس لها الا المركز والمحيط وان كروية الافلاك امر ثابت قطعي لاشك وأن آيات كثيرة من القرآن تدل على ذلك .

منها قوله تعالى : « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون »  
وفسر ابن عباس هذه الآية بقوله : فلكة كفلكة المغزل . والفلك فى اللغة هو المستدير .

هذا واذا كان ابن تيمية لم يتحدث عن كروية الارض فان تلميذه ابن القيم اورد دليلين من القرآن على ذلك وهما قوله تعالى : « يكور الليل على النهار » فان التكوير هو اللف على الجسم الكروي المستدير كتكوير العمامة على الرأس .

وكذلك قوله تعالى : « والارض بعد ذلك دحائها » فان الدحو فى اللغة دحرجة الكرة .

ولا تعارض بين ذلك وبين قوله تعالى : « واذا الارض سطحت » لان وجه الكرة سطح لها والسطح فى اللغة اعم منه فى عرف الهندسة .

وعلى ذلك فان كل كائن على الارض اذا اراد ان يتطلع الى علو الافلاك لايمكن ان يتطلع الا الى المحيط الذى هو فوق رأسه دون ان ينظر الى السفلى الذى هو المركز .

٤ - أن السؤال الذى وضعه السائل فى اول الامر ورد لوهم سائله بأن نصف الفلك يكون تحت الارض وتحت ما على وجه الارض من آدميين والبهائم . وهذا خطأ عظيم فلو كان الفلك تحت الارض من جهة لكان تحتها من كل جهة وهذا قلب للحقائق اذ أن الفلك هو فوق الارض مطلقا .  
وكذلك فان وضع الانسان على الارض مهما كان موقعه فان الفلك فوقه ولا يمكن ان يكون تحته .

٥ - ان من اراد الصعود الى اعلا فان اقرب الجهات اليه هي ما يلى رأسه .

تلك هي خلاصة رسالة ابن تيمية وقد ورد فيها من الحقائق العلمية ما اثبتته النظريات الفلكية والرياضية من بعده وكذلك فان تنزيهه لله تعالى كان من القوة وحسن الربط بعبث أن اى عالم محدث لو اراد أن يبعث نفس الامر لما وجد خيرا من العجيج التى اوردتها ابن تيمية .

محمد خضر محمد خضر

الباحث بدارة الملك عبد العزيز



# عرش الرحمن

وما ورد فيه من الآيات والأحاديث

وكونه فوق العالم كله، ومعنى التوجه في الدعاء إلى جهة العلو

وبطلان ما قيل من أن العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة اليونانية

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية  
قد سر الله سره

طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية، وعفي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز بن آل سعود

ملك النجدة ونجدة وملحقها

وبليه مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام

وهي ثلاثة أقسام

مطبوعة المنسك ربيع



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سئل﴾ شيخنا وسيدنا شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية أعاد الله تعالى من بركته آمين : ما تقول في العرش، هل هو كروي أم لا ؟ فإذا كان كروياً والله من ورائه محيط بآئن عنه ، فما فائدة أن العبد يتوجه الى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون غيره ؟ فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطالب العلو لا يلتفت يمينه ولا يساره ، فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ، وابسطوا لنا الجواب في ذلك .

﴿جواب﴾ رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين ، الجواب عن هذا بثلاث مقامات :

(أحدها) ان لقائل أن يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلاك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا داييل عقلي ، وانما ذكر طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيره من أجزاء الفلسفة فرأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع - وهو الاطلس - محيط بها مستدير كاستدارتها، وهو الذي يحركها الحركة المشرقية، وان كان لكل فلاك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الانبياء ذكر عرش الله وذكر كرسيه وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن: ان العرش هو الفلاك التاسع، لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك التاسع شيء. إما مطلقاً وإما انه ليس وراءه مخلوق، ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا أن الله تعالى يحدث فيه ما يقدره في الارض او يحدثه في النفس التي زعموا انها متعاقبة به ، او في العقل الذي زعموا انه صدر عنه.



هذا الفلك، وربما سماه بعضهم الروح، وربما جعل بعضهم ذلك النفس هو اللوح المحفوظ كما جعل العقل هو العلم، وتارة يجعلون اللوح هو العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر والنفس المتعاقبة به. وربما جعلوا ذلك بالنسبة إلى الحق كالدماع بالنسبة إلى الإنسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون، إلى غير ذلك من المقالات التي قد شرحناها وبيننا فسادها في غير هذا الموضع. ومنهم من يدعي أنه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذباً فيما يدعيه، وإنما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليداً لهم أو موافقة لهم على طرقهم الفاسدة، كما فعل أصحاب رسائل أخوان الصفا وأمثالهم وقد ينتحل المرء في نفسه ما تنقلده عن غيره فيظنه كشفاً كما ينتحل النصراني التثليث الذي يعتقد، وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفاً، وإنما يخيل لما اعتقده<sup>(١)</sup> وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة إذا ارتاضوا صقلت الرياضه نفوسهم فتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفاً، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن ما ذكرناه من أن العرش هو الفلك التاسع قد يقال أنه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي، أما العقلي فإن أئمة الفلسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكرناه. وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون لا ثبوته ولا انتفاءه.

مثال ذلك أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة، حتى جمعوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره،

(١) لعل أصله: يخيل إليه ما اعتقده، وإن بعض النصاري يرون في المنام وفي حال تغلب الخيال عند أولى المزاج العصبي في البقطة السيد المسيح أو السيدة مريم عليهما السلام أو غيرها من الحواريين ومن دونهم ويسمعون منهم ما يوافق عقائدهم كما يقع لكثير من المسلمين فيفترون بهذه الخيالات

فأما ما كان موجوداً فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون نفيه ولا أثباته بطريقه. وكذلك قول القائل إن حركة التاسع مبدأ الحوادث



خطأ وضلال على أصولهم ، فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من  
الثوابت ، وتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع ، وكذلك السابع والسادس ،  
واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة  
المختلفة الفلكية ، وتلك الاشكال سبب الحوادث السفلية ، كانت حركة التاسع جزء  
السبب كحركته ، فالاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب للكوكب في  
درجة واحدة ومقابلته له إذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة  
وتثليثه إذا كان بينهما ثلث الفلك مائة وعشرون درجة ، وتربيعه له إذا كان  
بينهما ربعه تسعون درجة ، وتسديسه له إذا كان بينهما سدس الفلك ستون  
درجة - وأمثال ذلك من الاشكال - انما حدثت بحركات مختلفة ، وكل حركة  
ليست عن الاخرى ، اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة التاسع  
وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة الي خلاف  
حركتها . وكذلك حركة السابع التي تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن ،  
وكذلك سائر الافلاك فان حركة كل واحد التي تخصه ليست عما فوقه من الافلاك ،  
فكيف يجوز أن يجعل مبدأ الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه  
العرش ؟ كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلا ،  
فكيف يكون سببا لأشياء مختلفة لا باعتبار القوابل وأسباب آخر ، ولكن هم قوم  
ضالون يعملونه مع هذا ثلثمائة وستين درجة ، ويعملون لكل درجة من الاثر  
ما يخالف الاخرى لا باختلاف القوابل ، كمن يجيء إلى ماء واحد فيجعل ابعض  
أجزائه من الاثر ما يخالف الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحد جزئيه مسخا  
والآخر مبردا ، والآخر مسعدا ، والآخر مشقيا ، وهذا مما يعلمون هم وكل  
عقل انه باطل وضلال ، واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر  
فوق الافلاك التسعة كان يجزم<sup>(١)</sup> أن ما أخبرت به الرسل من العرش هو الفلك التاسع  
رجا بالغيب وقولا بلا علم .

هذا كله على تقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة ، إذ في



ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه ، وإنما نتكلم على هذا  
التقدير أيضاً<sup>(٢)</sup> فالأفلاك في أشكالها وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة  
السابع إلى السادس كنسبة السادس إلى الخامس . وإذا كان هناك فلك تاسع  
فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن إلى السابع

وأما العرش فلاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته  
إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض ، قال الله تعالى ( الذين يحملون العرش ومن  
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت  
كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم )  
وقال تعالى ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) فأخبر أن للعرش حملة  
اليوم ويوم القيامة ، وإن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ،  
والمعلوم أن قيام فلك من الأفلاك بقسرة الله تعالى كقيام سائر الأفلاك لا فرق  
في ذلك بين كرة وكرة ، وإن قدر أن لبعضها في نفس الأمر ملائكة يحملها  
فحكمه حكم نظيره

- 
- (١) لعل أصله : كان جزمه أو جزمهم بأن ما أخبرت الرسل الخ  
(٢) يعني الشيخ (رح) أنه يبني إبطال قولهم على تقدير ثبوت الأفلاك التسعة  
جدلاً وهي غير ثابتة بدليل صحيح ، ونقول إنه قد تبين بمدد بما ارتقى إليه علم  
الهيئة الفلكية بالآلات الحديثة المقربة للأبعاد بطلان القول بالأفلاك التسعة التي  
تخيلها اليونان وتبهم فيها علماء العرب  
قال الله تعالى ( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم  
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ) فذكر هنا أن الملائكة تحف  
من حوله ، وذكر في موضع آخر أن له حملة ، وجمع في موضع ثالث بين حملته  
ومن حوله ، فقال ( الذين يحملون العرش ومن حوله ) وأيضاً فقد أخبر أن عرشه  
كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى ( وهو الذي خلق  
السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء )



وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض » وفي رواية له « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والارض ، وكتب في الذكر كل شيء » وفي رواية لغيره صحيحة « كان الله ولم يكن شيء معه ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء »

وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » فهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وهو سبحانه وتعالى يتمدح بانه ذو العرش المجيد كقوله سبحانه ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ) وقوله تعالى ( رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق \* يوم هم باردون لا يخفون على الله منهم شيء ، لمن المالك اليوم ؟ الله الواحد القهار )

وقال سبحانه ( وهو الغفور الودود \* ذو العرش المجيد \* فعال لما يريد ) وقد قرئ المجيد بالرفع صفة لله ، وقرئ بالخفض صفة للعرش وقال تعالى ( قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون ) فوصف العرش بانه مجيد وأنه عظيم

وقال تعالى ( فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ) فوصفه بانه كريم أيضاً ، وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم » فوصفه في الحديث بانه عظيم وكريم أيضاً

فيقول القائل المنازع : إن نسبة الفلك الاعلى إلى مادونه كنسبة الآخر إلى



مادونه ، فلو كان العرش من جنس الافلاك لكانت نسبته إلى مادونه كنسبة الآخر إلى مادونه ، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر كما لم يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء ، وإن كانت العليا بالنسبة إلى السفلى كالفلك على قول هؤلاء .

وانما امتاز عما دونه بكونه أكبر كما تمتاز السماء العليا على الدنيا بل نسبة السماء إلى الهواء ونسبة الهواء إلى الماء والارض كنسبة فلك إلى فلك . ومع هذا فلا يخص واحد من هذه الاجناس عما يليه بالذكر ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة ، وقد علم أنه ليس سبباً لذاتها ولا لحركاتها ، بل لها حركات تخصها فلا يجوز أن يقال إن حركته هي سبب الحوادث ، بل إن كانت حركة الافلاك سبباً للحوادث فحركات غيره التي تخصه أكثر ولا يلزم من كونه محيطاً بها أن يكون أعظم من مجموعها ، إلا إذا كان له من الغاظ ما يقاوم ذلك ، وإلا فمن المعلوم أن الغايط إذا كان متقارباً بمجموع الداخل أعظم من المحيط بل قد يكون بقدره أضغافاً ، بل الحركات المختلفة التي ليست عن حركته أكثر لكن حركته تشملها كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليها وكانت تسبح بالحصى إلى الضحى فقال « لقد قلت كلمة تعدل كلمات لو وزنت بما قلتيه لو زنتهن : سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله رضى الله نفسه ، سبحان الله مراد كلماته »<sup>١</sup> فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الاوزان ، وهم يقولون إن الفلك التاسع لاخفيف ولا ثقيل ، بل يدل على أنه وحده أثقل مما يمثل به كما أن عدد المخلوقات أكثر مما يمثل به

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قال لطم وجهه فقال : يا محمد رجل من أصحابك لطم وجهي . فقال النبي ﷺ « ادعوه » فقال « لم لطمت وجهه ؟ » فقال يا رسول الله إني مررت بالسوق وهو يقول : والذي اصطفى موسى على البشر ، فقلت يا خبيث وعلى محمد ؟ فأخذتني غصبة فلطمته ، فقال النبي ﷺ « لا تخيروا بين الانبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول



من يفتق فإذا أنا بمومي آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفتق قبلي أم جوزي بصعقته « فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم وجاء ذكر القائمة بالمفظ الساق والافلاك متشابهة في هذا الباب

وقد أخرجنا في الصحيحين عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول « اهتز

(١) لهذا الحديث في مسلم وكذا في السنن لفظان عن جوبرية (رض) أحدهما أن النبي (ص) أخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم . قال النبي (ص) لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » واللفظ الآخر أنه قال « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » وليس في الرواية أنها كانت تسبح بالحمى ولعله قد ثبت عنها في رواية أخرى كما ثبت عن صفية (رض) والحديث ذكره أبو داود في باب التسبيح بالحمى ولكنه ذكر التسبيح بالحمى عن غيرها

عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ « قال فقال رجل لجابر أن البراء يقول اهتز السرير قال : إنه كان بين هذين الحيين لاوس والخزرج ضغائن . سمعت نبي الله ﷺ يقول « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » ورواه مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قل - وجنازة سعد موضوعة « اهتز لها عرش الرحمن » وعندهم أن حركة الفلك التاسع دائمة متشابهة ومن تأول ذلك على أن المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم فلا بد له من دليل على ما قال كما ذكر أبو الحسين الطبري وغيره أن سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس بذلك ؟ قال « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين



بينها كما بين السماء والارض . فإذا سألت الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة » فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله ، ففعل قال « وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض » قال وما هي يا رسول الله قال « الجهاد في سبيل الله » وفي صحيح البخاري أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقبة أنت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر - أصابه سهم غرب (١) ، فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال « يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى »

### « ١ » بفتح الراء وسكونها ، أي لا يعرف رايه

فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها، وأن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها . والحديث الثاني يوافق في وصف الدرج المائة، والثالث يوافق في أن الفردوس أعلاها . وإذا كان العرش فوقه فلغائل أن يقول : إذا كان كذلك كان في هذا من العلو والارتفاع ما لم يعلم بالهيئة ، إذ لا يعلم بالحساب أن بين التاسع والاول كما بين السماء والارض مائة مرة ، بل عندهم أن التاسع ملاصق للثامن . فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها . وفي حديث أبي ذر المشهور قال: قلت يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم؟ قل « آية الكرسي » ثم قل يا أبا ذر « ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على المئمة » والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرها .

وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب بالحديث الذي في سنن أبي داود



وغيره عن جبير بن مطعم قال : أنى رسول الله ﷺ اعرابي فقال : يا رسول الله ، جهدت لانا نفس وجاع العيال ، وهلك المال ، فدع الله لنا . فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك . فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال « ويحك ، أتدري ما تقول ؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه . شأن الله أعظم من ذلك . إن الله على عرشه ، وإن عرشه على سماواته وأرضه لهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة » وفي لفظ « وإن عرشه فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه ، لهكذا » وقال بأصابعه مثل القبة . وفي لفظ « وإن عرشه فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه لهكذا » وقال بأصابعه مثل القبة <sup>(١)</sup> وهذا الحديث وإن دل على

( ١ ) لهذا الحديث بقية والفاظ مختلفة قال البيهقي بعد إيرادهم في الاسماء والصفات عن أبي داود : وهذا حديث ينفرد به محمد بن إسحاق بن يسار عن = التميمي وكذلك قوله عن الفردوس « إنها أوسط الجنة وأعلاها » مع قوله « وإن سقها عرش الرحمن » أو « إن فوقها عرش الرحمن » والاولى لا يكون الاعلى الا في المستدير ، فهذا لا يدل على انه فلك من الافلاك ، بل إذا قدر انه فوق الافلاك كلها أمكن هذا فيه سواء قال القائل انه محيط بالافلاك أو قال انه فوقها . وليس يحيط بها ، كما أن وجه الارض فوق النصف الاعلى من الارض وإن لم يكن محيطا بذلك . وقد قال اياس بن معاوية : السماء على الارض مثل القبة . ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل ، ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا ، فقوله تعالى ( وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ) وقوله تعالى ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ) يقتضي أنها في فلك مستديرة مطلقا كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في فلكة مثل فلكة المنزل . وأما لفظ القبة فانه لا يعترض هذا المعنى لا بنفي ولا اثبات ، لكن يدل على الاستدارة



= يعقوب بن عتبة ، وصاحبنا الصحيح لم يحتاج به انما استشهد به مسلم بن الحجاج  
 بن محمد بن اسحاق في احاديث معدودة اظنهم خمسة قد رواه عن غيره . وذكره  
 البخاري في الشواهد ذكرنا من غير رواية ، وكان مالك بن انس لا يرضاه ، ويحیی  
 ابن سعيد القطان لا يروي عنه ، ويحيى بن معين يقول ليس هو بحجة ، واحمد  
 ابن حنبل يقول يكتب عنه هذه الاحاديث - يعني المغازي ونحوها - فاذا جاء  
 الحلال والحرام اردنا قوما هكذا - يريد اقوى منه - فاذا كان لا يحتاج به في  
 الحلال والحرام فأولى ان لا يحتاج به في صفات الله سبحانه . وانما نقموا عليه في  
 روايته عن اهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسهم اساميهم . فاذا روى  
 عن ثقة وبين سماعه منه جماعة من الاثمة لم يروا به بما . وهو انما روى هذا  
 الحديث عن يعقوب بن عتبة وبعضهم يقول عن عتبة وعن محمد بن جبير ولم يبين  
 سماعه منهما . واختلف عليه في لفظه كما ترى اه فجملة القول ان هذا الحديث  
 لا يصح ولعل الشيخ اورده استيفاء للروايات النافية لا قول اهل الهيئة

من الملو كالقبة الموضوعة على الارض ، وقد قل بعضهم ان الافلاك غير السموات  
 لكن رد عليه غيره هذا القول بان الله تعالى قال ( ألم تروا كيف خلق الله سبع  
 سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ) فاخبر انه جعل  
 القمر فيهن ، وقد أخبر انه في الفلك (١)

وايس هذا موضع بسط الكلام في ذلك وتحقيق الامر فيه وبيان أن ما علم  
 بالحساب علما صحيحا لا ينافي ما جاء به السمع وان العلوم السمعية الصحيحة لا تنافي  
 معقولا صحيحا ، إذ قد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله في غير هذا الموضع ، فان ذلك  
 يحتاج اليه في هذا ونظائره مما قد اشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال  
 انه معلوم بالعقل مخالفا لما يقال انه معلوم بالسمع ، وأوجب ذلك ان كذبت كل  
 طائفة بما لم تحط بعلمه . حتى آل الامر بقوم من اهل الكلام ان تكلموا في معارضة  
 الفلاسفة في الافلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقل ، وظنوا  
 ان ذلك من نصر الشريعة وكان ما جحدوه معلوما بالدلة الشرعية ايضا

وأما المتفلسفة واتباعهم فغايتهم ان يستدلوا بما شاهدوا من الحسيات ولا يعلمون  
 ما وراء ذلك ، مثل ان يعلموا ان البخار المتصاعد ينمقد مسحبا وان السحاب إذا  
 اصطك حدث عنه صوت به (٢) ونحو ذلك ، لكن علمهم بهذا كعلمهم بان النبي يصير



( ١ ) الذي يفهمه أهل اللغة من الفلك هنا أنه مدار الكواكب وعجالة القاموس مدار النجوم قال : ومن كل شيء مستداره ومعظمه ، وهذا غير المراد من الفلك عند علماء الهيئة اليونانية فهو عندهم جسم مستدير صلب شفاف لا يقبل الحرق والالتهام ، وكل فلك من الاول الى السابع فيه كوكب من الدراري السبع يدور فيه والنامن للنجوم النابتة كلها واتناسم أطلس ليس فيه شيء

( ٢ ) ينعون بهذا الصوت الرعد ، وهو قول باطل لم يجدوا ما يعللون به صوت الرعد غيره . وأما علماء السكون في هذا العصر فقد ثبت عندهم أن البرق والرعد يحدثان من اشتعال الكهرباء بالنفث الإيجابي منها بالسلي ، وبهذا الاشتعال يحدث تفريغ في الهواء يكون له صوت بقدره كما يحدث باطلاق المدفع وهو صوت الرعد والصواتق في الرحم ( جنينا ) لكن ما الموجب للمني المتشابه الاجزاء ان يخلق منه هذه الاعضاء المختلفة والمنافع المختلفة على هذا الترتيب المحكم المتقن الذي فيه من الحكمة والرحمة ما بهر الالباب وكذلك ما الموجب لان يكون الهواء أو البخار يعتقد سبحانه مقدراً بقدر مخصوص في وقت مخصوص على مكان يختص به وينزل على قوم عند حاجتهم اليه فيستقيم بقدر الحاجة لا يزيد فيه لئلا يهلكوا ولا ينقص فيعوزوا . وما الموجب لان يساق إلى الارض الجرّز التي لا تمطر أو تمطر مطراً لا يغنيها كارض مصر أو كان المطر القليل لا يكفيها والكثير يهدم ابنيتها ( ١ ) قال تعالى ( او لم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرّز فنخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون )

وكذلك السحاب المتحرك وقد علم ان كل حركة فاما ان تكون قسرية وهي تابعة للقاسر ، أو طبيعية ، وانما تكون إذا خرج المطبوع من مركزه فيطلب عوده اليه أو ارادته وهي الاصل ، فجميع الحركات تابعة للحركة الارادية التي تصدر عن ملائكة الله تعالى التي هي المدبرات امراً والمقسمات امراً ، وغير ذلك مما اخبر الله تعالى به عن الملائكة . وفي المعقول ما يصدق ذلك . فالكلام في هذا وأمثاله موضع غير هذا والمقصود هنا ان نبين ان ما ذكر في السؤال ذائل على كل تقدير فيكون الكلام في الجواب مبني على حجج علمية لا تقليدية ولا مسالمة ، وإذا بينا حصول الجواب على كل تقدير كما سنوضحه لم يضرنا بعد ذلك ان يكون بعض التقديرات هو الواقع وان



كننا نعلم ذلك، لكن تحرير الجواب على تقدير دون تقدير وإثبات ذلك فيه طول  
لا يحتاج إليه هنا ، فإن الجواب إذا كان حاصلًا على كل تقدير كان أحسن وأوجز

(١) ان كون زول المطر في كل أرض بقدر حاجة أهلها لا يزيد ولا ينقص  
غير مسلم والمعلوم بالمشاهدة خلافه فكثيرا ما يزيد فيحدث ضررا عظيما، او ينقص  
فتهلك الزروع وتقل الفلال وتحدث المجاعات وقد علم البشر من سنن الله في ذلك  
في عصرنا أكثر مما كان يعلم من قبلهم ولا يزالون يحملون منها اضعاف ما علموا

## المقام الثاني

ان يقال : العرش سواء كان هذا الفلك التاسع ، و جسا محيطا  
بالفلك التاسع ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطا به ، أو قيل فيه غير ذلك ،  
فيجب ان يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما  
قال تعالى ( وما قدرُوا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات  
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) وفي الصحيحين عن ابي هريرة  
عن النبي ﷺ انه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي  
السما بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض ؟ » وفي الصحيحين - واللفظ  
لمسلم - عن عبد الله بن عمر : قال قال رسول الله ﷺ « يطوي الله السموات يوم  
القيامة ، ثم يأخذهن بيمينه اليمنى ، ثم يقول : انا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون ؟  
ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول : انا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ؟ »  
وفي لفظ في الصحيح عن عبد الله بن مقسم انه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف  
يحكي النبي ﷺ قال « يأخذ الله سماوته وأرضه بيده ويقول : انا الملك ، ويقبض  
اصابعه ويبسطها ، انا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه  
حتى اني اقول اساقط هو برسول الله ﷺ وفي لفظ قال « رأيت رسول الله  
ﷺ على المنبر وهو يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضه - ويقبض بيده وجعل يقبضها  
ويبسطها - ويقول انا الرحمن ، انا الملك ، انا السلام ، انا المؤمن ، انا المهيمن ، انا



العزیز، انا الجبار المتکبر، انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً، انا الذي اعدتها  
 ابن الملوك؟ ابن انجبارون؟ ابن المتکبرون؟» ويتمیل رسول الله ﷺ على يمينه  
 وعلى شماله، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني لا أقول اساقط  
 هو برسول الله ﷺ؟ والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بالفاظ  
 يصدق بعضها بعضها، وفي بعض ألفاظه قول: قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته  
 يوم القيامة) الآية، قال « مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » وفي لفظ  
 « يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيجعلها في كفه ثم يقول بها هكذا كما يقول  
 الصبيان بالكرة، نا الله الواحد » وقال ابن عباس « يقبض عليهما فما يرى طرفها  
 بيده » وفي لفظ عنه « ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن  
 بيد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم » وهذه الآثار معروفة في كتب الحديث  
 وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : أتى النبي ﷺ رجل يهودي ،  
 فقال : يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال  
 والشجر على اصبع ، والماء والنرى على اصبع ، وساثر الخلق على اصبع ، فيهنهن  
 فيقول : أنا الملك، أنا الملك، قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا  
 لقول الخبر<sup>(١)</sup> ثم قال ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة )  
 إلى آخر الآية .

ففي هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل  
 العلم على صحتها وتلقبها بالقبول ما يبين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة  
 إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن يكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد  
 أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة<sup>(٢)</sup>

(١) قوله تصديقا لقول الخبر قال بعض شراح الصحيحين ان هذه زيادة من الراوي  
 قالها بحسب فهمه ، وهي ليست في كل الروايات وانكروا ان يكون (ص) صدق  
 اليهودي بل قالوا انه اراد الانكار عليه ونلا الآية الدالة على ذلك . وخالفهم  
 آخرون فراجع الافوال في شرح الحديث من كتاب التوحيد في فتح الباري

(٢) دحا الكرة يدحوها دحرجها



قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون الامام - نظير مالك - في كلامه المشهور الذي رد فيه على الجهمية ومن خلفها<sup>(١)</sup> قال : فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران ، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بان قال : لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمي عن البين بالخفي ، فجحد ما سمى الرب من نفسه فصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يمثل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة \* إلى ربها ناظرة ) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا الله أفصل كرامته التي أكرم الله أوليائه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته له إياهم ( في مقعد صدق عند مليك مقتدر ) وقد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون - إلى أن قال - وإنما جحدوا رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة ، لأنه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً .

وقال المسلمون : يا رسول الله ، هل نرى ربنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « هل تضارون<sup>(٢)</sup> في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا لا ، قل « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا لا ، قل « فانكم ترون ربكم كذلك » وقال رسول الله ﷺ « لا تمتلي النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنقول قط قط ، وينزوي بعضها إلى بعض »

( ١ ) أي من جاء بعد الجهمية ممن يقول قولهم ( ٢ ) يروي بتشديد الراء وتخفيفها . فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر اليه لوضوحه وظهوره . وقال الجوهري : أراد بالمضارة الاجتماع والازدحام عند النظر اليه . وأما التخفيف فهو من الضير وهو لغة في الضر

وقال ثابت بن قيس « قد ضحكك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا عنه « إن الله يضحك من أزعكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم »<sup>(٣)</sup> وقال له



رجل من العرب : إن ربنا يضحك ؟ قال « نعم » قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً . وفي أشباه لهذا مما لم نحصه . وقل تعالى ( وهو السميع البصير \* واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ) وقال ( ولتصنع على عيني ) وقال ( مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي ) وقل ( والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم . فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ، ولم نتكلف منه علم ما سواه لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف . انتهى

وإذا كان كذلك فإذا قدر أن المخلوقات كالكرة فهذا قبضه لها ورميه بها . وإنما بين لنا من عظمتها وصغر المخلوقات بالنسبة اليه ما يعقل نظيره منا ثم الذي في القرآن والحديث يبين أنه إن شاء قبضها وفعل بها ما ذكر كما يفعل ذلك يوم القيامة ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطة بها ما لا يخفى ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، وبكل حال فهو مبين لها ليس بما يث لها .

ومن المعلوم ان الواحد منا . . والله المثل الاعلى - اذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها بل حولها تحته فهو في الحالتين مبين لها ، وسواء قدر ان العرش هو محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل

(١) قال في النهاية: هكذا يروى في بعض الطرق . والمعروف « من إياكم » والازل والازل بالفتح الشدة والضيق كأنه أراد من شدة بأسكم وقنوطكم

### ٣ - عرش

انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة إلى جوفها وكالقبعة بالنسبة الى ما تحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد في توجهه إلى الله يتقصد العلو دون التثت وتتمام هذا ببيان (المقام الثالث) وهو أن يقول لا يخلو إما ان يكون العرش كروياً



كلا فلاك ويكون محيطا بها ، واما ان يكون فوقها وليس هو كرويا ، فان كان الاول  
فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا ان الافلاك مستديرة كرية الشكل وان الجهة العليا  
هي جهة المحيط وهو المحدث ، وأن الجهة السفلى هي المركز<sup>(١)</sup> وليس للافلاك إلا  
جهتان العلو والسفل فقط

وأما الجهات الست فهي للحيوان فان له ستة جوانب يؤم جهة فتكون أمامه  
ويخلف أخرى فتكون خلفه ، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذي شماله ، وجهة تحاذي  
رأسه ، وجهة تحاذي رجله . وليس لهذه الجهات الست في نفسها صفة لازمة ، بل  
هي بحسب النسبة والاضافة ، فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ، ويكون أمام  
هذا ما يكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا . لكن جهة العلو  
والسفل للافلاك لا تتغير ، فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل ، مع ان وجه الارض

---

( ١ ) اي لمركز الوسط من الداخل وهو المقعر الذي تكون جوانب المحيط  
بالنسبة اليه متساوية اذا كان المحيط متساويا كمحيط انفاك عندهم لانه كرة تامة  
واما الارض فهي كرة غير تامة لان في محيطها تسطيجا وانبطاحا من جانبي قطبيها  
الشمالى والجنوبى فمركزها أقرب إليهما منه الى سطح الاقاليم الاستوائية وناهيك  
بما فيها من الجبال ، ولكن المركز هو جهة السفلى لها من كل جانب والسطح محيطها  
وهو جهة العلو من كل جانب ، وأما جهة العلو لمن على سطحها كالانسان فهو ما فوق  
رأسه من السماء اينما كان

التي وضعها الله الانام وأرساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر  
والنبات والجبال والانهار الجارية .

فأما الناحية الاخرى من الارض فلبحر محيط بها وليس هناك شيء من  
الآدميين وما يتبعهم . ولو قدر ان هناك أحد لكان على ظهر الارض ولم يكن  
من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ، ولا من في هذه تحت من في هذه ،  
كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ، ولا القطب



الشمالي تحت الجنوبي ولا بالعكس ، وإن كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الأرض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذي يسمى عرض البلد . فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته ، فكذلك من يكون على الأرض من الحيوان والنبات لا يقال إنه تحت أولئك ، وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان ، وهو تحت إضافي ، كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف فليسقف فوقها وإن كانت رجالها تحاذيه ، وكذلك من علق منكوساً فإنه تحت السماء ، وإن كانت رجاله على السماء ، وكذلك قد يتوهم الإنسان إذا كان في أحد جانبي الأرض أو الفلك أن الجانب الآخر تحته <sup>(١)</sup>

(١) كل ما قاله شيخ الإسلام في الأرض فهو مبنى على كونها كرة كما جزم به علماء الهيئة المتقدمون والمتأخرون ومن اطاع على هذا العلم وفهمه من علماء الإسلام الاعلام . وهذه مسألة قطعية لا ظنية ، وصرح بها ابن القيم من علماء الحديث بالتبع لاستاذه المؤلف وللإمام ابن حزم واقتناعاً بأدلتها ويدل عليه قوله تعالى ( يكور الليل على النهار ) الآية فإن التكوير هو اللف على الجسم الكروي المستدير كتكوير العمامة على الرأس ، وكذا قوله تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ فإن الدحو في أصل اللغة دحرجة الكرة وما في معناها . ولا يعارضه قوله تعالى ﴿ واذا الارض سطحت ﴾ كما توهم الجلال وغيره لان وجه الكرة سطح لها والسطح في اللغة اعم منه في عرف أهل الهندسة وكذلك الخط

وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الافلاك مستديرة ، واستدارة الافلاك كما إنه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذي عليه علماء المسلمين كما ذكره ابو الحسين بن المنادي وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم إنه متفق عليه بين علماء المسلمين ، وقد قال تعالى ( وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ) قال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل ، والفلك في اللغة هو المستدير <sup>(١)</sup> ومنه قولهم : تفلك ثدي الجارية اذا استدار . وكل من جعل الافلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز في كل جانب . ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحيته يكون تحته من في



الفلك من الناحية الأخرى في نفس الأمر فهو متوهم عندهم .

وإذا كان الأمر كذلك فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالخلق لموقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يترجى إليه وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو لا من جهته الباقية أصلا .

ومن توجه إلى الفلك التاسع أو لثامن أو غيره من الأفلاك من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه ، وغاية

---

(١) هذا معناه العام . وأما معناه الخاص بالكواكب فهو مدار الكوكب كما تقدم في حاشية (ص ١١٦) وهو مستدير على كل حال سواء كان كما قال المتقدمون من اليونان والعرب أم كان فضاء فما نقله شيخ الإسلام من اتفاق علماء المسلمين على استدارة الأفلاك صحيح على كل حال فإن الكواكب كلها مستديرة كرية الشكل وأفلاكها التي تدور فيها كذلك ، والعالم كله كروي الشكل ، وكل جرم من اجرامه يسبح دائراً في فلك له مستدير بنظام حسابي مطرد كما قال تعالى ( الشمس والقمر بحسبان )

ما يقدر أن يكون كروي الشكل والله تعالى محيط بالخلق كماها احاطة نايق بجلاله<sup>(١)</sup> فإن السموات السبع في يده أصغر من الحصاة في يد أحدنا

وأما قول القائل : إذا كان كروياً والله من ورائه محيط به بانن عنه، فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون التحت، فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو ، لانلنفت بمنة ولا يسرة فاخبرونا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ؟

فيقال له : هذا السؤال إنما ورد لتوهم المتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض وتحت ما على وجه الأرض من الآدميين والبهائم ، وهذا غلط عظيم ، فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة لكان تحتها من كل جهة، فكان يلزم أن يكون الفلك تحت الأرض مطلقا ، وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق



الارض مطلقا ، واهل الهيئة يقولون : لو أن الارض مخروقة إلى ناحية ارجلنا وألقي في الحرق شي ، ثقل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز ، حتى لو ألقى من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز<sup>٢</sup> ولو قدر أن انسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن احدهما تحت الآخر بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب ، فانه لو قدر أن رجلا بالمشرق

(١) اما دليل احاطته فقوله عز وجل (والله من ورائهم محيط ) واما قوله : احاطة تابق بجلاله فانني التشبيه باحاطة الاجسام بعضها ببعض ، على قاعدة الساف التي قررها شيخ الاسلام مرراً وهي الايمان بالنصوص من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل (٢) هذا ، تنفق عليه بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الفلك ويعللون به جاذبية الثقل فهي تختلف بدر بعد المحيط عن المركز وهو يختلف في المنطقة الاستوائية عن منطقتي القطبين كما اشرنا اليه في حاشية (ص ١٢٢) في السماء او الارض ، ورجلا بالمغرب في السماء او الارض لم يكن احدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه او رجلاه او بطنه او ظهره او جنبه مما يلي السماء او مما يلي الارض ، واذا كان مطلوب أحدهما مافوق الفلك لم يطلبه الآخر الا من الجهة العليا ، لم يطلبه من جهة رجله او يمينه او يساره . لوجهين :

(أحدهما) ان مطلوبه من الجهة العليا أقرب اليه . من جميع الجهات ، فلو قدر رجل او ملك يصعد الى السماء او إلى مافوق كان صعوده مما يلي رأسه اذا أمكنه ذلك ولا يقول عاقل انه يخرق الارض ثم يصعد من تلك الناحية ، ولا انه يذهب يمينا او شمالا او اماما او خلفا الى حيث امكن من الارض ثم يصعد ، لأن أي مكان ذهب اليه كان بمنزلة مكانه او هو دونه ، وكان الفلك هناك فوقه ، فيكون ذهابه الى الجهات الخمس تطويلا وتعباً من غير فائدة ، ولو ان رجلا أراد أن يخاطب الشمس والقمر فانه لا يخاطبه إلا من الجهة العليا ، مع ان الشمس والقمر قد تشرق وقد تغرب فتتحرف عن سمت الرأس ، فكيف بما هو فوق كل شيء دائماً لا يأفل



ولا يغيب سبحانه وتعالى؟ وكما ان الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها باقصر طريق وهو الخط المستقيم، فالطلب الازادي الذي يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب؟ ويعدل الى طريق منحرف طويل؟ والله فطر عباده على الصحة والاستقامة إلا من اجتالته الشياطين فأخرجته عن فطرته التي فطر عليها

(الوجه الثاني) انه إذا قصد السفل بلا علو كان منتهى قصده المركز، وإن قصده أمامه أو ورائه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو كان منتهى قصده أجزاء الهواء فلا بد له من قصد العلو ضرورة، سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها، ولو فرض أنه قال: أقصده من اليمين مع العلو، أو من السفلى مع العلو كان هذا بمنزلة من يقول، أريد أن أحج من الغرب فإذهب إلى خراسان (١) ثم أذهب إلى مكة، بل بمنزلة من يقول أصعد إلى الافلاك فانزل في الارض لاصعد إلى الفلك من الناحية الاخرى، فهذا وان كان ممكناً في المقدار، لكنه يستحيل من جهة امتناع ارادة القاصد له، وهو مخالف للفطرة، فان القاصد يطلب مقصوده بأقرب طريق لا سيما اذا كان مقصوده معبوده الذي يعبد ويتوكل عليه. وإذا توجه اليه على غير الصراط المستقيم كان مسيره منكوساً معكوساً.

وأيضاً فان هذا الجمع في سيره وقصده بين النفي والاثبات بين أن يتقرب الى المقصود ويتباعد عنه، ويريد وينفر منه، فانه اذا توجه اليه من الوجه الذي هو عنه أبعد وأقصى، وعدل عن الوجه الاقرب الأدنى، كان جامعاً بين قصدين متناقضين، فلا يكون قصده له تاماً، اذ القصد التام ينفي نقيضه وضده، وهذا معلوم بالفطرة، فان الشخص اذا كان يحب النبي ﷺ محبة تامة ويقصده أو يحب غيره مما يحب - سواء كانت محبة محدودة أو مضمومة - ومتى كانت المحبة تامة، وطلب المحبوب طلبه من أقرب طريق يصل اليه (٢) بخلاف ما اذا كانت المحبة مترددة مثل أن يحب ما يكره محبته في الدين فتبقى شهوته تدعوه الى قصده وعقله



(١) اي من الشام - حيث كان المؤلف - الى خراسان ، ومعلوم أن مكة في الجهة الجنوبية للشام وخراسان في الجهة الشرقية فلذهاب من الشام غربا الى خراسان في الشرق ثم الى مكة ممكن لان الارض كرة ولكن هذا عمل لا يعمله من لا يريد بطواف أكثر محيط الارض الا مكة للحج الا ان يكون مجنوناً . وانما يفعله العاقل اذا كانت الرحلة الى هذه الاقطار مقصودة لذاتها

(٢) قوله طلبه من أقرب طريق الخ جواب اذا ومتى اي اذا كان يجب ماذكر ومتى كانت محبته له اامة وطلبه بمقتضاها طلبه من اقرب طريق ، وفيه ما يري من التعقيد ينهيه عن ذلك فتراه يقصده من بعيد ، كما يقول العامة : رجل الى قدام ، ورجل الى خلف (١) وكذلك اذا كان في دينه نقص وعقله يأمره بقصد المسجد أو الجهاد أو غير ذلك من المقصودات التي تحب في الدين ، وتكرهها النفس ، فانه يبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد : متباطئاً في السير ، وهذا كله معلوم بالفطرة وكذلك اذا لم يكن القاصد يريد الذهاب بنفسه ، بل يريد خطاب المقصود ودعائه ونحو ذلك . فانه يخاطبه من أقرب جهة يسمع دعائه منها وينال به مقصوده اذا كان القصد تاماً ، ولو كان رجلاً في مكان عال ، وآخر يناديه لتوجه اليه وناداه ولوحط رأسه في بئر وناداه بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكناً ، لكن ليس في الفطرة ان يفعل ذلك من يكون قصده اسماءه من غير مصلحة راجحة ولا يفعل نحو ذلك الا عند ضعف القصد ونحوه .

وحديث الادلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر قد رواه الترمذي وغيره من حديث الحسن عن أبي هريرة وهو منقطع ، فان الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع ، فان كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا (٢) فان قوله « لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله » انما هو تقدير مفروض : لو وقع الادلاء لوقع عليه ، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئاً لانه عال بالذات ، واذا هبط شيء الى جهة الارض وقف في المركز ولم يصعد إلى



(١) مأخوذ من المثل العربي : مالي إراك تقدم رجلا وتؤخر أخري

(٢) ان شيخ الاسلام يعلم ان الحديث غير ثابت وتقوية الضعيف للضعيف لا يعتد بها في ثبوت حكم شرعي فعدم الاعتداد بها في صفات الله أولى ولا سيما هذه التشابهات . ولكنه يجيب عن الاشكال فيه بفرض وقوعه وعبر عنه بقوله ان كان ثابتا لان الاصل في شرط « ان » عدم الوقوع لامتناعه أو لتزيله . نزلة المتمم كاحققناه في تفسير ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ من جزء التفسير الاول الجهة الاخرى لكن بتقدير فرض الادلاء : لا يكون ماذكر من الجزاء .

فهكذا ما ذكره السائل إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه ، وان كان متوجهاً اليه بقلبه ، لكن هذا ما يمتنع من الفطرة لان قصده للشيء التام ينافي قصد ضده . فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى ، فكذلك قصد الاعلى بالذات ينافي قصده من أسفل ، فكما أن ما يهبط إلى جوف الارض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لانها عالية فترد الهابط بعلوها ، كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد اليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل الا برفع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط ، فكذلك ما يهبط من أعلى الارض إلى أسفلها وهو المركز ، لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه الا برفع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط إلى المركز ، فان قور أن الرفع أقوى كان صاعداً به إلى الفلك من تلك الناحية ، وصعد به إلى الله .

وانما يسمى هبوطا باعتبار ما في اذهان المخاطبين أن ما يجاذي أرجلهم يكون هابطا ويسمى هبوطا مع تسمية إهباطه ادلاء ، وهو انما يكون ادلاء حقيقياً إلى المركز، ومن هناك انما يكون مدخا للحبل والدلو لا ادلاء له (١)

لكن الجزاء والشرط مقدران لا محققان، فانه قال : لو أدلى لهبط ، اي لو فرس ان هناك هبوطا وهو يكون ادلاء وهبوطا إذا قدر ان السموات تحت الارض وهذا التقدير منتف ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب



وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا بقدر عليه ، فلا يتصور أن يهبط على الله شيء

(١) كذا في الاصل والمدح لا يظهر معناه هنا والذي يقتضيه المقام أن يقال إن ما يد أو يدفع من مركز الكرة الى أي جانب من المحيط يكون مده أو دفعه رفعا واثلا له لا ادلاء ، لأن المركز هو الاسفل والمحيط هو الاعلى كما تقدم لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بجبل ، ولكن لا يكون في حتمه ادلاء فلا يكون في حقه هبوطا عليه ، كما لو خرق بجبل من القطب أو من مشرق الشمس الى مغربها ، وقدرنا ان الحبل مر في وسط الارض فان الله قادر على ذلك كله ، ولا فرق بالنسبة اليه على هذا التقدير بين أن يخرق من جانب اليمين منا الى جانب اليسار ، أو من جهة امامنا الى جهة خلفنا ، و من جهة رؤوسنا إلى جهة أرجلنا اذا مر الحبل بالارض . فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط الى جانبه الآخر مع خرق المركز وتقدير احاطة قبضته بالسموات والارض . فالحبل الذي قدرانه خرق به العالم وصل اليه ، ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة اليه لا ادلاء ولا هبوطا

واما بالنسبة اليها فان ما تحت أرجلنا تحت لنا ، وما فوق رؤوسنا فوق لنا ، وما ندليه من ناحية رؤوسنا الى ناحية أرجلنا تخيل انه هابط (١) فاذا قدرنا أحدنا أدلى بجبل كان هابطا على ما هناك ، لكن هذا تقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان احاطة الخالق تعالى كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان احاطته بالخلق ، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث ( هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ) وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال : وفسره بعض أهل العلم بأنه هبط على علم الله

وبعض الحلولية والأتحادية يظن ان في هذا الحديث ما يدل على قولهم الماثل وهو انه حل بذاته في كل مكان ، أو ان وجوده وجودا لا مكنة ونحو ذلك والتحقيق ان الحديث لا يدل على شيء من ذلك ان كان ثابتاً ، فان قوله « لو



(١) قوله تتخيل انه هابط — انما سمي هذا تخيلا لأن الجهات الست المذكورة أمور نسبية لاحقيقة ثابتة في نفسها .

دلي بحبل لمبط يدل على انه (١) ايس في المدلي ولا في الحبل ولا في الدلو ولا في غير ذلك . وانما يقتضي انه من تلك الناحية ،

وكذلك تأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية . بل تقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم ن الله قادر عليها ، وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة (٢) فليس في اثباتها في الجملة ما يخالف العقل ولا الشرع ، لكن لا نتكلم الا بما نعلم ، وما لم نعلمه أمسكنا عنه ، وما كان مقدمة دليله مشكوكا فيها عند بعض الناس ، كن حقه أن يشك فيه حتى يتبين له الحق ، والا فليست عما لا يعلم

واذا تبين هذا ، فكذلك قصده بقصده الى تلك الناحية ، ولو فرض انا فعلناه لكننا قاصدين له على هذا التقدير اكن قصدنا له بالقصد إلى تلك الجهة ممتنع في حقنا لان القصد التام الجازم يوجب طلب المتصود بحسب الامكان ولهذا قد بينا في غير هذا الموضع لما تكلمنا على تنازع الناس في النية المجردة عن الفعل هل يعاقب بلها ام لا يعاقب ؟ بينا ان الارادة الجازمة توجب ان يفعل المريد ما يقدر عليه من المراد . ومتى لم يفعل مقدوره لم تكن ارادته جازمة بل يكون هما « ومن هم بسيدة فلم يفعلها لم تكتب عليه فان تركها الله كتب له حسنة » ولهذا وقع الفرق بين هم يوسف عليه السلام وهم امرأة العزيز كما قال الامام احمد : « اللهم هان : هم خطرات ، وهم إصرار ، فيوسف عليه السلام هم هما تبركه الله

(١) الضمير راجع الى الله تعالى يعني انه لو كان تعالى في هذه الاشياء أو لو كان عنها لما صح التعبير الذي بني على ان هنالك حبلا ودلوا وانما ما مدليا للدلو المعاني بالحبل وان غاية فعله وصول الحبل الى الله الذي هو غير ما ذكر

(٢) قوله بالكتاب والسنة متعلق بعلم



فأثيب عليه ، وتلك همتهم إصرار ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها  
ون لم يحصل لها المطلوب »

والذين قالوا يعاقب بالارادة احتجاجوا بقوله ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما  
فالقاتل والمقتول في النار » قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قل  
« إنه أراد قتل صاحبه » وفي لفظ « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » فهذا أراد  
ارادة جازمة وفعل ما يقدر عليه وان لم يدرك مطلوبه ، فهو بمنزلة امرأة العزيز ،  
فمتى كان القصد جازما لزم ان يفعل القاصد ما يقدر عليه في حصول المقصود ،  
وإذا كان قادراً على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصد التام ان  
يحصله بطريق معكوس بعيد

ولهذا امتنع في فطر العباد عند ضرورتهم ودعائهم لله تعالى وتعالى قصدهم  
له ان يتوجهوا اليه إلا توجهها مستقيماً ، فيتوجهون إلى ان العلودون سائر الجهات ، لانه  
الصراط المستقيم القريب ، وما سواه فيه من البعد والانحراف والطول مافيه ، فمع  
القصد التام الذي هو حال الداعي العابد والساير المضطر يمتنع ان يتوجه اليه إلا  
إلى العلو ، ويمتنع ان يتوجه اليه إلى جهة أخرى ، كما يمتنع ان يدلي بحبل بهبط عليه ،  
فهذا هذا والله أعلم .

وأما من جهة الشريعة فان الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتكميل الفطرة  
وتقريرها ، لا بتبديل الفطرة وتغييرها . قال ﷺ في الحديث المتفق عليه « كل  
مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة  
بهيمة جمل » أي بمجتمعة الخلق سوية الاطراف ليس فيها نقص كجدع وغيره « هل  
ترون فيها من نقص ؟ هل تحسون فيها من جدعاء »

وقال تعالى ( فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا  
تبديل نخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) . فجاءت  
الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة ، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين  
والصابئين المتفلسفة وغيرهم فانهم غيروا الفطرة في العلم والارادة جميعاً ، وخالفوا



العقل والنقل ، كما قد بسطنا في غير هذا الموضع

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان النبي ﷺ قال « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه ، ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ، ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله » وفي رواية أنه اذن ان يبصق في ثوبه ، وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ لما أخبر النبي ﷺ « انه ما من أحد إلا سيخلو به ربه » فقال له ابو رزين : كيف يسمعنا يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع ؟ فقال « سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به ، فالله أكبر » ومن المعلوم ان من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدر ان يخاطبه لا يتوجه اليه إلا بوجهه مع كونه فوقه . ومن الممتنع في الفطرة ان يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له وان كان ذلك ممكنا ، وانما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب فيعرض عنه بوجهه أو يخاطب غيره ليسمع هو الخطاب ، فاما مع زوال المانع فانما يتوجه إليه ، فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فانه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله ، ويدعوه من العلو لا من السفلى ، كما إذا قدر انه يخاطب القمر

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لا ترجع اليهم أبصارهم » واتفق العلماء على ان رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه ، وروى احمد عن محمد بن سيرين أن النبي ﷺ كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى ( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ) فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده

فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة ، لان الداعي السائل الذي يؤمر بالخشوع وهو الاندلس والسكون لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ويسأله ، بل يناسب حاله الاطراق وغش البصر أمامه . وايس نهي المصلي عن رفع بصره في الصلاة رداً على أهل الاثبات الذين يقولون انه على العرش كما يظنه



بعض جهال الجهمية، فإن الجهمية عندهم لا فرق بين العرش وقعر البحر فالجميع سواء، ولو كان كذلك لم ينه عن رفع البصر إلى جهة ويؤمر برده إلى أخرى لأن هذه وهذه عند الجهمية سواء.

وأيضاً فلو كان الأمر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملاً لجميع أحوال العبد . وقد قل تعالى ( قد ترى نقاب وجهك في السماء ) فليس العبد بمنهي عن رفع بصره مطلقاً ، وإنما نهى في الوقت الذي يمر فيه بالخشوع لأن خفض البصر من تمام الخشوع ، كما قل تعالى ( خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث ) وقال تعالى ( وتراهم يعرضون عليهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ) وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء ونيس في السماء إله لكان لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس أن يعتقدوا أن الله في السماء أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى العلو لبين لهم ذلك كما بين لهم سائر الاحكام، فكيف وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الامة حرف واحد يذكر فيه أنه ليس الله فوق العرش ، أو أنه ليس فوق السماء ، أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا محايث له ، ولا مباين له ، أو أنه لا يقصد العبد إذا دعاه العلو دون سائر الجهات ؟ بل جميع ما يقوله الجهمية من النفي ويزعمون أنه الحق ليس معهم به حرف من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها ، بل الكتاب والسنة وأقوال السلف والائمة مملوءة بما يدل على نقض قولهم ، وهم يقولون أن ظاهر ذلك كفر فتؤول أو نفوض .

فعلى قولهم ليس في الكتاب والسنة وأقوال السلف والائمة في هذا الباب إلا ما ظاهره كفر ، وليس فيها من الايمان في هذا الباب شيء .

والسلب الذي يزعمون أنه الحق الذي يجب على المؤمن أو خواص المؤمنين اعتقاده عندهم ، لم يلق به رسول ولا نبي ولا أحد من ورثة الانبياء والمرسلين ، والذي نطقت به الانبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق بل هو مخالف للحق في الظاهر ، بل حذاقهم يعلمون<sup>(١)</sup> أنه مخالف للحق في الظاهر والباطن ، لكن هؤلاء



منهم من يزعم ان الانبياء لم يمكنهم أن يخاطبوا الناس إلا بخلاف الحق الباطن  
فلبسوا أو كذبوا لمصلحة العامة

فيقال لهم: فهلا نطقوا بالباطن لخواصهم الاذكياء الفضلاء ان كان ما تزعمونه  
حقاً؟ وقد علم أن خواص الرسل هم على الاثبات أيضاً وأنه لم ينطق بالنفي أحد  
منهم إلا ان يكذب على أحدهم كما قال عن عمر: ان النبي ﷺ وأبا بكر كانا  
يتحدثان و كنت كزنجي بينهما. وهذا مختلف باتفاق أهل العلم، وكذلك ما نقل  
عن علي وأهل بيته ان عندهم علما باطنا يختلف عن الظاهر الذي عند جمهور الامة  
وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن علي رضي الله تعالى عنه انه لم يكن عندهم  
عن النبي ﷺ شيء، ليس عند الناس، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان في  
الصحيفة، وفيها الديات وفكك الاسير، وان لا يقتل مسلم بكافر<sup>(٢)</sup>  
ثم انه من المعلوم ان من جملته الله هاديا مبلغاً بلسان عربي مبين اذا كان

---

(١) لعل أصل هذه الكلمة يعتقدون لانه ليس للجهمية علم بذلك بل ظن ولدته  
نظرياتهم الباطنة التي بين الشيخ بطلانها في عدة مواضع من كتبه  
(٢) ونحرى المدينة ككة . وهذه الصحيفة كتب بها هذه المسائل التي سمعها  
من النبي ﷺ وكانت معلقة في سيفه وقد ذكر البخاري حديثه في عدة من كتبه.  
أولها كتاب العلم

لا يتكلم أبداً قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقي فهو إلى الضلال والتدليس  
أقرب منه إلى الهدى والبيان، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا  
والمقصود أن ماجاء عن النبي ﷺ في هذا الباب وغيره كله حق يصدق  
بعضه بعضاً وهو موافق لفطرة الخلائق وما جعل فيهم من العقول الصريحة، وليس  
العقل الصحيح ولا الفطرة المستقيمة بمعارضة النقل الثابت عن رسول الله ﷺ،  
فانما يظن تعارضهما من صدق بباطل من المنقول وفهم منه مالم يدل عليه، أو اذا اعتقد  
شيداً ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من المكشوفات وهو من المكشوفات،  
اذا كان ذلك معارضا لمنقول صحيح، وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف



الصحيح ، ما يظنه منقولاً عن النبي ﷺ ويكون كذباً عليه ، أو ما يظنه لفظاً دالاً على معنى ولا يكون دالاً عليه ، كما ذكره في قوله ﷺ « الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » حيث ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل ، وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي ﷺ فإن هذا اللفظ صريح في أن الحجر الأسود ليس هو من صفات الله إذ قال هو « يمين الله في الأرض » فتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الإطلاق فلا يكون اليد الحقيقية . وقوله « فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » صريح في أن مصافحه ومقبله ليس مصافحاً لله ولا مقبلاً ليمينه لأن المشبه ليس هو المشبه به ، وقد أتى بقوله « فكأنما » وهي صريحة في التشبيه . وإذا كان اللفظ صريحاً في أنه جعله بمنزلة اليمين لانه نفس اليمين ، كان من اعتقد أن ظاهره أنه حقيقة اليمين ، قانلاً للكذب المبين .

فهذا كله بتقدير أن يكون العرش كروي الشكل سواء كان هو الفلك التاسع أو غير الفلك التاسع . وقد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات وهو العالي عليها من جميع الجوانب وأنه لا يجوز أن يكون شيء مما في السماء والأرض فوقه ، وإن القاصد إلى ما فوق العرش بهذا التقدير إنما يقصد إلى العلو لا يجوز في الفطرة ولا في الشريعة مع تمام قصده أن يقصد جهة أخرى من جهاته الست ، بل هو أيضاً يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه كما ضرب به النبي ﷺ من المثل بالقمر والله المثل الأعلى وبين أن مثل هذا إذا جاز في القمر وهو آية من آيات الله فالخالق أعلى وأعظم

\*  
\* \*

وأما إذا قدر أن العرش ليس كروي الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجهه ، وأنه فوق الأفلاك الكرية كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكري ، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه وليس كروي الشكل ، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله إلا إلى العلو لا إلى غير ذلك من الجهات فقد ظهر أنه على كل تقدير لا يجوز أن يكون اتوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبايناً لخلقته ، وسواء قدر مع ذلك أنه محيط بالمخلوقات كما يحيط بها إذا كانت في قبضته أو قدر مع ذلك أنه فوقها من غير أن يقبضها ويحيط بها



فهو على التقديرين يكون فوقها مبايناً لها .

فقد تبين أنه على هذا التقدير في الخالق وهذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض ، وهذا يزيل كل شبهة . وإنما تنشأ الشبهة من اعتقادين فاسدين (أحدهما) أن يظن أن العرش إذا كان كريا والله فوقه وجب أن يكون الله كريا ، ثم يعتقد أنه إذا كان كريا فيصح التوجه إلى ما هو كرى كالفلك التاسع من جميع الجهات وكل من هذين الاعتقادين خطأ وضلال فإن الله تعالى مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كرى سواء كان هو التاسع أو غيره لا يجوز أن يظن أنه مشابه للافلاك في أشكالها ، كما لا يجوز أن يظن أنه مشابه لها في أقدارها ، ولا في صفاتها ( سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً )

بل قد تبين أنه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وأنها أصغر عنده من الحصاة والفلفلة ونحو ذلك في يد أحدنا ، فإذا كانت الحصاة أو الفلفلة بل الدرهم والدينار ، أو الكرة التي يلعب بها الصبيان ، ونحو ذلك في يد الإنسان أو تحته أو نحوه ذلك ، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الإنسان على ذلك وإحاطته ، هل يكون الإنسان كالفلك ؟ فالله - وله المثل الأعلى - أعظم من أن يظن ذلك به ، وإنما يظنه الذين لم يقدرُوا الله حق قدره ( والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون )

وكذلك اعتقادهم الثاني وهو أن ما كان فلاناً فإنه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق أهل العقل الذين يعلمون الهيئة وأهل العقل الذين يعلمون أن القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الامكان

فقد تبين أن كل واحدة من المقدمتين خطأ في العقل والشرع ، وأنه لا يجوز أن تتوجه القلوب إليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات ، سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره ، وسواء كان محيطاً بالفلك كرى الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كريا ، وسواء كان الخالق سبحانه محيطاً بالمخلوقات كما يحيط بها في قبضته أو كان فوقها من جهة العلو منا التي تلي رموسنا دون الجهة الأخرى ،

فعلى أي تقدير فرض به كان كل من متدمني السؤال باطلة وكان الله تعالى



إذا دعواته إنما ندعوه بقصد العلو دون غيره كما فطرنا على ذلك ، وبهذا يظهر  
الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

[ يقول محمد رشيد آل رضا صاحب مزار الاسلام ]

رحم الله شيخ الاسلام ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، فوالله  
انه ما وصل الينا من علم أحد منهم ما وصل الينا من علمه في بيان حقيقة هذا الدين  
وحقيقة عقائده ، وموافقة العقل السليم وعلومه للنقل الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة  
رسوله (ص) بل لا نعرف احدا منهم اوتي مثل ما اوتي من الجمع بين علوم النقل  
وعلوم العقل بانواعها مع الاستدلال والتحقيق ، دون المحاكاة والتقليد ، وغرضه  
من هذا الكتاب او الفتوى تفنيد ما زعمه المتأولون للعرش بانه الفلك التاسع ، من  
ان ذلك يعارض ما ثبت في الكتاب والسنة واقوال ائمة الامة من ان الله تعالى  
على عرشه فوق سماواته ، ومن ان الفطرة مؤيدة للشرعية في أن جهة العلو قبلة الدعاء ،  
فهو يثبت هذه الحقيقة على كل احتمال يمكن ان يكون عليه العرش ككونه كريا  
أو قبة أو غير ذلك ، ولكنه لم يتكلم في حقيقة شكل العرش باكثر مما ورد في كلام  
الله تعالى وكلام رسوله (ص) لانه من عالم الغيب الذي يجب الايمان بما ورد فيه من  
الخصوص بغير زيادة ولا نقصان ، ولا تاويل ولا تعطيل ، ولا تشبيه لله في علوه واستوائه  
عليه ولا تمثيل . ( والله يقول الحق وهو يهدي السبيل )